ثقافة العمل التطوعي في المجتمع
(المفاهيم الأشكال – الضوابط – الأهداف)

م .د . بيداء عبد الصاحب عنبر الطائي
جامعة بغداد - مركز البحوث التربوية والنفسية

الخلاصة

لعل من أهم الركائز الأساسية في بناء المجتمعات ، وتحقيق التماسك بين أفراده، هو العمل التطوعي، فهو ممارسة إنسانية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير والصلاح منذ القدم ، لكنه يختلف في حجمه وشكله ودوافعه واتجاهاته من مجتمع إلى آخر ، وكذلك من زمن لآخر؛ فبينما يقل في مراحل الهدوء والاستقرار ، فانه يزيد في أوقات الكوارث والنكبات والحروب، ولعلّ (الحشد الشعبي) خير دليل على ذلك ، فقد لبوّا نداء المرجعية ، وتطوعوا للدفاع عن أرضهم ومقدساتهم. ومن حيث الشكل فقد يكون التبرع بالمال أو الجهد أو المهنة أو غير ذلك، أما من حيث الاتجاه فقد يكون موجهاً من الدولة ومؤسساتها، أو قد يكون تلقائياً ، أما الدوافع فهي كثيرة: نفسية ، واجتماعية، وسياسية، ودينية وغير ذلك.

وعن طريق المصادر والمعلومات التي أفدت منها في كتابة هذا البحث ، وجدت أن هناك فرقاً بين السلوك التطوعي ، والعمل التطوعي ؛ فالسلوك التطوعي هو مجموعة التصرفات التي يمارسها الفرد والتي تنطبق عليها شروط العمل التطوعي، والتي تأتي استجابة لظرف طارئ أو موقف إنساني؛ مثل إنقاذ غريق، أو إسعاف جريح ، أو غير ذلك من التصرفات الإنسانية الصرفة . أما الفعل فهو الذي لا يأتي عند الأمور الطارئة بل نتيجة تفكّر وتدبّر، والإيمان بأفكار إنسانية سامية ، بحيث يترجم ذلك إلى أفعال خيرية ، ومن ثم يمكن أن يتحول هذا الفعل إلى سلوك اجتماعي ، وقد يكون أكثر تقدماً فيتوسع على صعيد مؤسسات متعددة ومنظمات تسهم في جمع الجهود والطاقات الاجتماعية مما يجعل منها شريكاً فاعلاً للحكومات في مجال التنمية الاجتماعية.

وحتى تتحقق ثقافة التطوع في مجتمعاتنا العربية ، والمجتمع العراقي على وجه الخصوص، فان ثمة ضرورة لتفعيل ثقافة التطوع على المستويين النظري التأصيلي، والعملي التطبيقي، وإلاّ فلن يكون للعرب دور في هذا المجال عالمياً ، وثقافتنا في هذا المجال ستكون تبعاً لخطاب ثقافة التطوع الغربي، على الرغم من إن هذه الثقافة هي إسلامية عربية في الأصل. كما أن المستوى المتقدم الذي وصل إليه المجتمع الغربي في مجال الأعمال التطوعية ، على الرغم من أن بعض دوافع المؤسسات الخيرية والتطوعية في الغرب تشوبها دوافع مصلحية أو سياسية، إلاّ أن بعضها ناتج عن مستوى الوعي المجتمعي بأهمية العمل التطوعي ، وكان الأحرى بنا – نحن العرب – أن نكون سباقين لذلك ؛ كونه من تعاليم الدين الإسلامي الحقيقي ؛ لذلك لا بدّ من توجيه الوعي المجتمعي بضرورة التطوع وأهميته في تنمية الموارد البشرية وطاقاتها ، ويمكن تحقيق ذلك بما يأتي :

- تنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية سليمة، بغرس قيم التضحية والإيثار، وروح العمل الجماعي في نفوس الناشئة منذ مرحلة الطفولة .
- احتواء البرامج الدراسية والمناهج للمؤسسات التعليمية المختلفة بعض المقررات الدراسية التي ترتكز على مفاهيم العمل الجماعي التطوعي ، وأهميته، واقتران ذلك بالبرامج التطبيقية مثل حملات التنظيف ، وخدمة البيئة وما إلى ذلك.
- دعم المؤسسات أو الهيئات التي تعمل في مجال العمل التطوعي ماديا ومعنوياً .
- تنظيم دورات تدريبية للمتطوعين أو الراغبين بالتطوع قبل تكليفهم بالمهام التطوعية مما يكسبهم المهارات والخبرات المناسبة .
- مطالبة وسائل الإعلام المختلفة بدور أكثر تأثيراً في تعريف ماهية العمل التطوعي ومدى حاجة المجتمع إلى ذلك لما له من دور في التنمية ، وإكساب العاملين على ذلك الاحترام الذاتي واحترام الآخرين.
- جعل العمل التطوعي وسيلة لمعالجة الانحراف السلوكي لبعض العاطلين عن العمل.
- توظيف التكنلوجيا الحديثة بهذا المجال في التنسيق بين الجهات الحكومية وغير الحكومية ؛ لتقديم الخدمات الاجتماعية واستغلال الطاقات البشرية.

Volunteer Work in the Community Culture (Concepts - Forms - Controls - Goals)

Inst. Dr. Baida' Abdul-Sahib Anbar al-Taie
Baghdad University - Center of Educational and Psychological Studies

Abstract

Perhaps one of the most pillars in building communities, and to achieve consistency between its members, is the volunteer work, he is a humanitarian exercise been closely associated with all the meanings of goodness and righteousness since ancient times, but it differs in size and shape and motivations and trends from one community to another, and from time to time; while at least in the stages of calm and stability, it increases in disasters and calamities and wars times, and perhaps (the popular crowd) is the best proof of that, they answered a call reference, and volunteered to defend their land and their holy places. In terms of form it may be donating money or effort or profession or otherwise, either in terms of the trend may be directed from the state and its institutions, or they may be automatic, but the motives are many: psychological, social, political, religious and otherwise.

Through the resources and information that reported them in the writing of this research, I found that there is a difference between voluntary behavior, and volunteer work; behavior is voluntary is a behavior group exercised by the individual and to which they apply volunteer work conditions, which comes in response to an emergency circumstance or humanitarian stance; such as saving a drowning or ambulance wounded, or other humanitarian actions pure. The act is the one who does not come at the emergency things but as a result think and ponder, and faith in humanity ideas Semitic, so that translates into charitable acts, and then can this act turns into a social behavior, which may be more advanced Viusa at the level of multiple institutions and organizations that contribute to the collection social efforts and energies, which makes them an active partner for governments in the field of social development.

And even achieved a culture of volunteerism in our Arab societies, Iraqi society in particular, there is a need to revitalize the culture of volunteerism on both theoretical Altoesela, and practical application, otherwise it will not be for the Arabs role in this global field, and our culture in this area will be according to the letter of the culture of the western volunteer, on Although this culture is Islamic, Arab in origin. The advanced level reached by the Western society in the field of volunteer work, despite the fact that some of the motives of charitable and voluntary organizations in the West tainted motives of self-interest or political, but some is due to the level of community awareness of the importance of volunteer work, and it was us rather - shall we - be proactive so; being one of the true teachings of the religion of Islam; therefore it is necessary to guide the community awareness of the need and importance of volunteering in the human resources and energy development, and this can be achieved, including the following:

- Raising children sound social upbringing, for the purpose of sacrifice and altruistic values, the spirit of teamwork in the hearts of emerging since childhood.
- Containment of academic programs and curricula of various educational institutions, some of the courses that are based on the concepts of collective voluntary work, and its importance, combined with practical programs such as clean-up campaigns, and service environment and so on.
- Support institutions or bodies working in the field of voluntary work, materially and morally.

- To organize training courses for volunteers who are interested in volunteering or by assigning them tasks which volunteer to give them the appropriate skills and experience.

- Various media claim more influential role in the definition of what the volunteer work and the need for society to it because of its role in development, and give workers the self-respect and respect for others.
- Make volunteering a way to address the behavioral deviation of some of the unemployed.
- Use of modern technology in this field in coordination between governmental and non-governmental agencies; to provide social services and the exploitation of human energies.

مقدمة

تسعى المجتمعات المتقدمة إلى تنمية شاملة تتضمن تلبية الحاجات الأساسية للمواطنين ، وتوفير فرص العمل للشباب، وخفض معدلات البطالة ، وتحقيق العدالة في توزيع الدخل، وتحسين مستويات الصحة والتعليم ، والرفاهية في جميع المجالات، كما تسعى إلى مشاركة جميع الفئات في تحقيق نهضة المجتمع.ويُعد الإنسان هو الثروة الأولى لأي مجتمع من المجتمعات ، وأساس تقدّمه، وبقدر وعيه وإدراكه بحقوقه وواجباته ، وتحمله لمسؤولياته، بقدر ما تتحقق التنمية في هذا المجتمع. ويمثل العمل الخيري والتطوعي رافداً أساساً للتنمية الشاملة ، يعكس مدى وعي المواطن لدوره في نهضة بلاده ، لذا حرصت الدول المتقدمة على إدراج العمل التطوعي كمادة تُدَرّس في المدارس والكليات ، وذلك بطرح مفاهيمه وأهدافه ، ومجالاته ، سواءً في الكتب المنهجية ، أو في الصحف والمجلات. والتطوع في أبسط تعريفاته ، هو ما يقوم به الإنسان من مجهود ،بشكل فردي أو جماعي ، بما يحقق النفع للمجتمع، ومن دون تكليف محدد؛ لأنه يقوم بشكل أساس، على الرغبة الحرة، والدافع الذاتي. والأغلب الحاصل في العمل التطوعي في وقتنا الحاضر ، هو عن طريق كيانات منظمة، شبه حكومية، تسمى منظمات المجتمع المدني، والتي قد شرعت لها قوانين وأنظمة تنظم عملها وعلاقتها بالدولة ، وبالكيانات الأخرى في المجتمع.إن العمل التطوعي في مجتمعنا يستمد جذوره من تعاليم الدين الحنيف التي حضّت على التراحم والتعاون والتكافُل، والبذل والعطاء، والكثير من الصفات التي ذُكرت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . قال الله تعالى : " فمن تطوع خيراً فهو خير له"(البقرة/184)، وقوله: "ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم"(البقرة/185). فالإسلام يحث على العمل التطوعي ، ويثني على من يسخّر نفسه لخدمة الآخرين. ولذلك أصبح العمل التطوعي ظاهرة اجتماعية صحية تحقق الترابط والتآلف بين أفراد المجتمع، فكل إنسان ذكراً كان أو أنثى مطالب بعمل الخير بما يتناسب مع قدراته، انطلاقا من قوله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"(المائدة/2). إن للعمل التطوعي فوائد جمة تعود على الفرد المتطوع نفسه، وعلى المجتمع بأكمله ، وتؤدي إلى استغلال أمثل لطاقات الأفراد، لا سيما الشباب في التنمية الاجتماعية . وثقافة التطوع في مجتمعاتنا ترتكز نظريا على عقيدة الإيمان ، وهي التي دفعت المجتمع الإسلامي على مر العصور ، أفرادا وجماعات إلى المبادرة بفعل الخير ، والسعي لتقديم العون ابتغاء وجه الله تعالى. وسعيت في هذا البحث إلى التوصل إلى مفهوم شامل لماهية العمل التطوعي عبر تعريفات كثيرة ، اتفقت في مجملها عل أساسيات العمل التطوعي ، ثم بينتُ أشكاله ومجالاته، وضوابطه عبر تحليل العلاقة بين العمل التطوعي ونمط الشخصية وخصائصها ومراحلها العمرية ، وصولا إلى الحديث عن أهداف العمل التطوعي وآثاره على الفرد والمجتمع ، لا سيما في مجال التنمية الشاملة ، وكان ذلك كله عبر مفاتيح البحث الآتية :

(نظرة في المفاهيم – أشكال العمل التطوعي ومجالاته – الضوابط – الأهداف)

ثم اختتمتُ البحث بذكر بعض التوصيات المهمة التي تنشر ثقافة التطوع في المجتمع، وتزيد من موارده البشرية ، وعرضتُ بعد ذلك قائمة بالمصادر والمراجع التي استعنت بها في كتابة البحث.

المفاهيم

العمل : الفعل بقصد (المنجد في اللغة : 531) ، والعمل أي المهنة والفعل والجمع أعمال (ابن منظور: 400/9) . أما التطوع في اللغة ، فهو : ما تبرع به من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه (ابن منظور: 221/8) ، وتطوع بالشيء أي تبرع به ، والمتطوع : المتفضل الذي يأتي من الأعمال الصالحة زيادة على الفرائض والواجبات (المنجد في اللغة: 475).

وسُمي تطوعاً ؛ لأن فاعله يفعله تبرعاً من غير أن يؤمر به حتماً ، وهناك العديد من التعريفات للعمل التطوعي ، منها : انه كل جهد يبذله الإنسان سواء أكان ذهنياً ، أو بدنياً بتحقيق مصلحة، أي منفعة أو زيادة منفعة موجودة (الحربي، 1418هـ :399) .

وهو أيضاً : الجهد الذي يبذله الإنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منها للإسهام في تحمُّل مسؤولية المؤسسة التي تعمل على تقديم الرعاية الاجتماعية (الجهني ،1418هـ: 543).

كما يعرفه العلي بأنه : " بذل مالي أو عيني أو بدني أو فكري يقدمه المسلم عن رضا وقناعة ، بدافع من دينه بدون مقابل ، بقصد الإسهام في مصالح معتبرة شرعاً يحتاج إليها قطاع من المسلمين " (العلي ، 1416هـ :760) ، وهذا ما ذهب إليه أغلب الباحثين عندما عرّفوا العمل التطوعي على أنه ما يقوم به فرد من أفراد المجتمع بدون أجر مادي في

أوقات منتظمة مع تحمله لكافة المسؤوليات النظامية لذلك العمل إدراكاً منه بأنه واجب اجتماعي إنساني يُراد به وجه الله تعالى.

أما اللحياني ، فيرى أن العمل التطوعي هو : " الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه للإسهام في تحمُّل مسؤولية المؤسسة التي تعمل على تقديم الرعاية الاجتماعية "(اللحياني، 1984 : 29) ، فجعل العمل التطوعي لأي فرد جهداً يوازي عمل المؤسسات التي تخدم المجتمع.

وهناك من الباحثين من يقصره على الجهود التي يقوم بها أفراد أو مواطنون غير مهنيين ، فـــالتطوع " هو إسهام الفرد أو الجماعة في انجاز عمل خارج نطاق أعمالهم التي يتقاضون عليها أجراً وتعود بالخير والنفع على مجتمعهم وتشعرهم بالرضا وذلك بكل رغبة وطواعية وتلقائية من دون أن ينشدوا من وراء انجازهم أي نوع من أنواع الربح أو المكافأة "(عرفة، 1422هـ : 543).

ومنهم من ينظر إليه بنظرةٍ أعمّ ، فيعرفونه على انه : " المجهود القائم على مهارة أو خبرة معينة والذي يبذل عن رغبة واختيار بغرض أداء واجب اجتماعي وبدون توقع أجر مالي بالضرورة "(الديب، 1418هـ : 209).

فهو مظهر من مظاهر الخدمة الاجتماعية التي تُمارس بشكل فردي أو جماعي ؛ لإشباع حاجات المجتمع والأفراد باتباع الأساليب العلمية والقواعد التنظيمية الموجودة في الجهات المستفيدة وبدون أجر مادي في أوقات منتظمة إدراكاً من المتطوع بأنه واجب اجتماعي إنساني يؤكد على انتمائه للمجتمع مبتغياً الأجر من الله ، وعلى ذلك فان علاقته بالخدمة الاجتماعية هي علاقة الخاص بالعام . ومنهم من ربطه بالأفراد الممثلون في الهيئات والمؤسسات والتجمعات الأهلية ذات النفع العام وذلك بهدف " التقليل من حجم المشكلات والإسهام في حلها سواء أكان ذلك بالمال أو الجهد " (النعيم، 1419هـ : 6).

إن الخصائص الاجتماعية هي من سمات الطبيعة الإنسانية ، فالفطرة السليمة تدعو الإنسان دائماً إلى تقديم الخير وتنحية الشر ، وتعد الأعمال التطوعية من أحد المصادر المُهمّة للخير؛ لأنّها تُساهمُ في عكسِ صورةٍ إيجابيّة عن المجتمع، وتوضحُ مدى ازدهاره، وانتشار الأخلاق الحميدة بين أفراده؛ لذلك يعدُّ العمل التطوعيّ ظاهرةً إيجابيّةً، ونشاطاً إنسانيّاً مُهمّاً، ومن أحد أهمّ المظاهر الاجتماعيّة السليمة؛ فهو سلوك حضاري يساهم في تعزيز قيم التعاون ونشر الرفاه بين سكان المجتمع الواحد.

(John Wilson, "Volunteering" ،Annual Review of Sociology, Retrieved 7-11-2016. Edited).

نلاحظ من التعريفات السابقة ، أنها اتفقت على صفات ملازمة للعمل التطوعي ، يمكن حصرها بما يأتي :

- إنه عمل اختياري .
- نابع من إرادة الشخص وإدراكه لدوره في المجتمع.
- يتضمن نوع من الإيثار؛ بعدم توقعه عائد مادي .

وبما انه (العمل التطوعي) يعبّر عن إرادة الأفراد الذاتية ، فانه بذلك يُعد عنصراً مهماً في إنجاح عملية التنمية الاجتماعية والتي تحقق زيادة في الموارد ، وحلّ المشاكل وتحسين نوعية الحياة للجميع ، وبذلك فان المجتمع الذي يعي ذلك ، لديه طاقات ذاتية قادرة على النهوض والتقدم.

أشكال العمل التطوعي ومجالاته

تُعد حركة التطوع في العمل الاجتماعي قوة لحركة نابعة من داخل المجتمع تدفعه وتستثيره نحو الاعتماد على جهود أفراده وجماعته، فضلاً عن موارده المتاحة ؛ لمواجهة احتياجات مواطنيه ، ولتقليل درجة الاعتماد على معونة الدولة التي يجب أن تُكرّس جهودها للحاجات الأكثر إلحاحاً وأهمية ، فالتطوع يعبّر عن إرادة وطنية نابعة من تصميم المواطنين على النهوض ومواجهة الصعاب لتحقيق حياة أفضل.

إنّ للعمل التطوعي في واقعنا المعيش بُعدين أو نظامين ، الأول : هو نظام التكافل الاجتماعي الذي يستند إلى تعاليم الدين الإسلامي المتمثل في صوره المتعددة من توظيف أموال الزكاة والصدقات لمساعدة الأيتام والفقراء والمعوزين ، والآخر يرتبط بنظام ما يُعرف بـــ (الفزعة) الذي يعتمد على التراث الاجتماعي ، المنحدر أساساً من النظام القبلي ، وهو نظام نصرة المحتاج ، هذه الحالة تبرز عند حدوث بعض المصاعب التي يواجهها الفرد ، مثل الوفاة، أو تعرض تعرّض عائلة أو قرية لنكبةٍ ما.

ونتيجة للتطور الحاصل في الدول العربية ، وظهور النمو الاجتماعي والاقتصادي ، برز دور الدولة في الخدمات ، وتعدد دور المؤسسات والمنظمات التطوعية مما زاد من مستوى الوعي الاجتماعي للأفراد، وأهميتهم في حركة عجلة التنمية . وتطور مفهوم العمل التطوعي وتجربته بشكل ملحوظ في مختلف الدول المتحضرة، لاسيما في العقدين الأخيرين (راشد محمد ، المشاركة في العمل التطوعي في الإمارات: 11) ، وعلى الرغم من بعض الآراء التي ترى بأن هذا الشيء معكوس في وطننا العربي، وان أدبيات العمل التطوعي فيه غير متوفرة حتى الآن ، إلاّ إن واقع الحال يفرز خلاف ذلك ؛ فمؤشرات العمل التطوعي باتت تتزايد في ضوء التحديات الخطيرة التي مرّت بها مجتمعاتنا العربية ، مما يدلل على أن

التطوع نابع أصلاً من طبيعتها العربية الإسلامية ، كما يدلل أيضاً على أن العلاقة بين الأزمات والكوارث وبين العمل التطوعي هي علاقة طردية ، فهو يتزايد بتصاعد الأزمات التي تُظهر جوهر المجتمعات وقيمتها الحقيقية.

لقد توسعت خدمات الدولة الحديثة وشملت معظم جوانب حياة الفرد وخرجت جماعات مختلفة تدعو إلى تقليص دور الدولة وقصره على الوظائف الأساسية التي لا بدّ منها لحياة المجتمع ، ويعد الكثير من المفكرين أن المؤسسات والمنظمات غير الحكومية مؤشر لتحقيق أكبر قدر من الديمقراطية لا سيما في حال انتشارها وزيادة فاعليتها والذي سيدفع باتجاه مشاركة أوسع لقطاعات المجتمع المختلفة لصناعة القرار(باقر النجار، الجمعيات الأهلية في منطقة الخليج العربي: 207).وعلى الرغم من هذا الدور الفعال لهذه المؤسسات ، إلاّ أنه لا يزال يُنظر إلى العمل الأهلي في الوطن العربي كنشاط اجتماعي خدمي (علي الصاوي، التنظيمات غير الحكومية: 100و129).

ولعلّ أبرز ميادين التطوع هو الميدان الاجتماعي فقد ارتكز العمل التطوعي منذ بداياته على فكرة الخير والأعمال الخيرية وذلك امتداداً للمشاعر الدينية التي عاشها الإنسان، فمساعدة الفقراء والمحتاجين وتلبية حاجاتهم الأساسية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن كانت الأهداف الأولى للمتطوعين في هذا الميدان .ومن الميدان الاجتماعي انطلق العمل التطوعي إلى ميدان آخر لا يقل أهمية وهو الميدان الصحي في محاولة لتأمين الرعاية الصحية الأوّلية لهؤلاء المحتاجين فتطوع الأطباءِ والممرضين والمسعفين للتخفيف من آلام هؤلاء المرضى، وفي هذا الميدان يبرز دور كبير لما يسمى الدفاع المدني هذا الجهاز الذي تظهر أهميته في حالات الطوارئ والخطر، والعاملون فيه يجب أن يتمتعوا كما يقول الحاج حمدان مسؤول جهاز المتطوعين في الدفاع المدني في الهيئة الصحية الإسلامية بمواصفات خاصة: بنية قوية، طول يفوق 168 سنتم، شجاعة وإقدام ...وإذا سرنا قدماً في ميادين التطوع نصل إلى الميدان التربوي التعليمي فبعد تأمين الحاجيات الأساسية للإنسان والتي تكفل استمرار حياته كالغذاء والدواء تبرز أهمية المساهمة في بناء فكر هؤلاء المحتاجين وذلك عبر فتح آفاق العلم والمعرفة أمامهم، وهنا يأتي دور العاملين في الحقل التربوي والطلاب الذين يتطوع البعض منهم لتعليم الأطفال والتلامذة أو الكبار عبر دروس محو الأمية ومثال على ذلك ما يقوم به مجموعة من المتطوعين العرب والأجانب في المخيمات الفلسطينية وما يقوم به الطلاب الجامعيون أثناء فترة الامتحانات الرسمية عندما يتطوعون لإعطاء دروس التقوية للتلامذة الخاضعين لهذه الامتحانات.

ميدان العمل البيئي عنوان آخر للتطوع وقد نشط كثيراً في السنوات الأخيرة نظراً لتفاقم المشاكل البيئية التي باتت تهدد العالم بكوارث خطيرة وفي هذا الميدان ينطلق المتطوعون من إحساس بالمسؤولية تجاه الكرة الأرضية التي نعيش عليها في محاولة لحفظ ثرواتها الطبيعية التي تكفل استمرار الحياة عليها. وهنا تنشط حملات التوعية البيئية لتعريف المجتمع بالطرق البسيطة والسلمية والتي تنطلق من المنزل للتخفيف مثلاً من كمية النفايات أو بعملية المساهمة في تدوير هذه النفايات، كما تنشط حملات تنظيف الشواطئ والمحافظة على المحميات الطبيعية...

مجال آخر في العمل التطوعي لا يقل أهمية عن كل المجالات السابقة الذكر، بل هو أهمها وهو مجال الدفاع عن حق الإنسان في حياة كريمة في أرضه ووطنه وحمايته من أي استغلال أو احتلال أو عدوان قد يهدد سلامته وسلامة أرضه وبيته ومستقبله، وأبرز مثال هنا هم المتطوعون الشباب في المقاومة الإسلامية الذين كانوا وما زالوا يتركون أعمالهم وجامعاتهم للالتحاق بركب المجاهدين المتفرغين ليكونوا شركاء في هذا الشرف، شرف الدفاع عن الأرض والمقدسات وهنا يصل حدود العطاء والتضحية إلى أسمى الدرجات، إلى بذل النفس شاهدة وشهيدة في سبيل هذه القضية.(سلوى صعب، مجلة بقية الله، ع:144، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية).

وبناءً على ما سبق ، يمكن أن نميز بين شكلين من أشكال العمل التطوعي :

- الأول، هو السلوك التطوعي، أي مجموعة التصرفات التي يمارسها الفرد ، والتي تأتي استجابة لظرف طارئ أو موقف إنساني ، مثل إسعاف جريح أو إنقاذ غريق ، من دون أن يتوقع الفاعل أي مردود مادي.
- الثاني، هو الفعل التطوعي ، وهو ما لم يأت استجابةً لظرف طارئ ، بل نتيجة تفكّر، والأمثلة على ذلك كثيرة ، كالتبرع بالمال والجهد وغيرهما.

وبذلك فان العمل التطوعي لا يرتكز مجال واحد ، بل تتنوع مجالاته وتتشعب ، بحسب قدرات الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات الداعمة والقائمة عليه ، وهذه المجالات منها ، على سبيل المثال لا الحصر، (بلال عرابي، دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع، جامعة دمشق،1999)، هي:

- التربوي، مثل فتح المدارس ، وعطاء دروس إضافية مجانية، أو ما شابه ذلك. ولعلّ النقص الحاصل في الكتب المنهجية لطلبة المدارس في الآونة الأخيرة ، أفرزت العديد من ذوي الجهود الخيرة التي تبرعت بشراء هذه الكتب وتوزيعها على الطلبة ؛ من أجل سد النقص الحاصل ، واستكمال المسيرة الدراسية بأقل ما يمكن من المعوقات.

- الصناعي، مثل إنشاء المصانع التي يمكن أن توظف الكثير من العاطلين عن العمل ، واستثمار الطاقات المحلية مما يؤدي إلى النهوض باقتصاد البلد.
- الثقافي، المتمثل في إقامة مؤسسات ثقافية تُعنى بالندوات والمحاضرات والأمسيات والمسابقات الثقافية التي تربط الفرد بالكتاب.

وذكرت صحيفة(هافينغتون بوست عربي) أن هناك مجموعة من الشباب العراقي، بادروا بأعمال تطوعية في شتى المجالات ، وفق برنامج أعدوه للنازحين في مراكز الإيواء ، فضلاً عن إعادة الحياة إلى المراكز والمنتديات الثقافية المهملة في بغداد، وأسس المتطوعون مركزاً بعنوان(المركز الوطني للعمل التطوعي) واختاروا الناشطة المدنية ميسون ممنون لرئاسة المركز؛ التي صرحت للصحيفة بأن المركز نسّق أعماله التطوعية مع عدة جهات رسمية وغير رسمية ، منها جمعية الهلال الأحمر العراقية، ووزارة الداخلية، وأمانة بغداد، حول شراك المركز في جميع مشاريع تلك الدوائر، لا سيما في مجال دعم النازحين.وبادر المتطوعون ضمن خطة إعادة الحياة إلى المراكز الثقافية المهملة، وفي مقدمتها مسرح الرشيد المهمل لأكثر من أربعة عشر عاماً، وأصروا على إحيائه ، وواصلوا العمل برفع الأنقاض ، ودهن الجدران، وتأهيل خشبة المسرح، وإصلاح مقاعد الجمهور.(عادل فاخر، بغداد تنفض غبار الحرب، صحيفة هافيغنتون، بغداد، 2016/3/17).

- الرياضي ، أشارت ممنون وضمن المصدر السابق، أن الفريق الرياضي يعمل في إطار تنفيذ المشاريع التطوعية ، ومنها العمل على وقف ظاهرة شغب الملاعب ، بعد عقد عدة لقاءات مع روابط مشجعي كرة القدم، ومحاولة دمجهم بالعمل الشبابي، وإبعادهم عن حالات العنف في الملاعب، وتثقيف الجمهور الرياضي.

وبذلك يمكن تصنيف المتطوعين على مجموعة أصناف :

- متطوعون بالمال فقط.
- متطوعون بالجهد فقط.
- متطوعون بالجهد والخبرة.
- متطوعون بالوقت.
- متطوعون بالوقت والجهد والمال.

والأدلة على ذلك كثيرة، وسبق وان ذكرت بعضاً منها، أما على الصعيد المحلي ، فنتيجة للأعمال التطوعية الكثيرة التي أثارت دهشة العديد من الشخصيات العامة في العراق، سارعت هذه الشخصيات بالتبرع بالأموال والأثاث والمعدات. فقد تبنت شركة بيبسي كولا إعمار مطعم وكافتريا مسرح الرشيد، وتزويده بكل المستلزمات ، فيما قامت شركة الحافظ للتجارة العامة بتزويد المسرح بأجهزة التدفئة والتبريد، كما تعهدت شبكة الإعلام العراقي عن طريق عضو هيئة الأمناء مجاهد أبو الهيل بمد كابلات كهربائية وضوئية للمسرح. (المصدر السابق). وقد تبارى أبناء العراق في التفنن بشتى أنواع الأعمال التطوعية ، على مستوى الأفراد والجماعات ، ولعل منظمات المجتمع المدني خير دليل على ذلك، فضلا عن المراكز التدريبية ، لاسيما المركز الوطني للعمل التطوعي في وزارة الشباب والرياضة ، الذي أعلن قبل الزيارة الأربعينية بمدة عن إطلاق حملته الخاصة بزيارة الأربعين الخاصة بخدمة الزائرين ، للمشاركة في التنظيم والتوعية والإسعافات الأولية، فضلاً عن برنامج تدريبي كامل بصدد هذا الموضوع. وعلى الصعيد الفردي ، فقد شارك كل فرد بما هو متاح مبتغٍ من وراء ذلك الأجر والثواب.

وأدركت الدولة أهمية هذا العمل ؛ لما له من دور فاعل في توحيد أبناء المجتمع ، وسدّ النقص الحاصل، ولذلك قامت بعض مؤسساتها ووزارتها بإصدار الكتب الرسمية التي تحث منتسبيها على العمل التطوعي، وقام العديد منهم بهذه الخدمة الجليلة ، ومنهم الباحثة ، على سبيل المثال لا الحصر، إذ عملت متطوعة في إعداد وتقديم برنامج (تاء التعليم) في قناة الجامعية الفضائية.

ضوابط العمل التطوعي

لقد تمرست المدرسة الغربية في فهم دوافع العمل وعلاقته في الإنتاجية ، لا سيما في ميدان السلوك بما يخدم تنمية مجتمعاته ومؤسساته المختلفة ، وقد خرجت العديد من النظريات التي تُفسر الطبيعة البشرية وأساليب تشويقها وتحفيزها للعطاء ، فهناك نظريات قديمة للدافعية وأخرى حديثة ، كنظرية التوقع، ونظرية العدالة ، ونظرية التعزيز، ونظرية الهدف (أندرودي، سيزرلاقي، السلوك التنظيمي والأداء: 90- 137).

وقد حاولت بعض الدراسات تحليل العلاقة بين العمل التطوعي ونمط الشخصية وخصائصها ، ومدى استعداد المتطوع للتضحية في سبيل ما يؤمن به، وهذه ترى أن العمل التطوعي لا يستطيع أن يقوم به كل إنسان ، وإنما يقوم به أشخاص

معينون يتمتعون بقدرات معينة ، وإنه ليس المهم البحث في دوافعهم بقدر ما هو مهم البحث في خصائصهم ، وأدرجت مجموعة من الصفات للمتطوع ، منها: المرونة، التفاؤل، الشفافية، الشجاعة، الحماسة. وتنصح الدراسة أولئك الذين لا يستطيعون مواجهة المواقف الغامضة والمربكة، والإحباطات ، بأن لا يحاولوا إدارة أي برنامج تطوعي أو المشاركة فيه (هارنين نايلور،قيادة العمل التطوعي: 9 12).

وحاولت دراسة أخرى معرفة دافعية النشاط التطوعي في ضوء المرحلة العمرية للمتطوعين ، وترى أن الرغبة في العمل التطوعي تختلف باختلاف المراحل العمرية ، فكلما تقدم العمر بالإنسان تغيرت دوافعه للعمل التطوعي ، على سبيل الإيجاز (المصدر السابق نفسه):

- الشباب يقومون بالعمل التطوعي بدافع الحصول على الرفقة واكتساب معارف جديدة.
- متوسط الأعمار ، دافعهم للعمل التطوعي هو الضيق والتبرم من العمل الرسمي ، والبحث عن عمل يحررهم من الروتين والرتابة.
- المسنون والمتقاعدون، ربما كان دافعهم لذلك هو البحث عن دور جديد لهم في الحياة.

وقد حاولت إحدى الدراسات تفسير العمل التطوعي في ضوء مفهوم مخزون الطاقة البشرية ؛ إذ لا بدّ لهذه الشحنات من تفريغ، ولا بدّ لها من مسارات أو رغبات، وهي تمثل ثلاثة أبعاد:
الرغبة في الإنجاز – الرغبة في الانتماء – الرغبة في السلطة (ولسون، الإدارة الفعالة في برنامج التطوع: 46-48).

ولا تعد بعض هذه النظريات مفيدة كثيراً في تفسير دافعية العمل التطوعي في مجتمعاتنا ، لا سيما إن دافع البر والإحسان يمثل الدافع الحقيقي لمشاركة قطاعات كبيرة من المتطوعين والمتبرعين. ولذلك فانه حتى يحقق العمل التطوعي أهدافه وتكون مخرجاته ونتائجه في إطار عقيدة المجتمع وعاداته ، كان لا بدّ له من تواجد ضوابط متوافقة مع ما يصبو إليه ، وبهذا ، فإن من أهم ضوابطه، هي :

- إخلاص النية لله ، وهذا مرتبط بالإيمان ، ويُعد دافع موجه لإرادة الإنسان نحو عمل الخير، لا سيما العمل التطوعي الذي يُراد به وجه الله . بعدَ أن أدرك الشخص المتطوع بأن ما يقوم به نابعاً من ذاته ومدركاً بأنه لا يحصل منه على مقابل مادي.
- التمكُّن المعرفي والمهاري ، ويشمل العلم ؛ لأنه يسبق العمل، والعمل التطوعي كغيره من الأعمال التي يحتاج إلى العلم قبل القيام به ، وإلاّ قد تحصل مضّرة بطريقة غير مقصودة ، ولعلّ التدريب والتأهيل للمتطوعين هو من الضرورات الملحّة قبل البدء بالعمل الذي تطوعوا له.
- ربط العمل التطوعي بالأخلاق الحميدة ، وهذا من ضرورات نجاحه؛ لأنه أصلاً يُعدّ من أبواب الإحسان إلى الخلق الحميد ، ومن أهم الأشياء في ذلك، هو عدم المنّ بالعمل التطوعي، قال الله تعالى : " ولا تُبطلوا صدقاتكم بالمّن والأذى"(البقرة/263).
- الرغبة في القيام بالعمل التطوعي ؛ لأن الرغبة تجعل أداؤه أفضل وأدوم، وإلاّ فإن عدم الرغبة يعني الإجبار بأي نوعٍ كان ، وهذا ما يتعارض مع مفهوم التطوع.
- إعطاؤه صفة الشخصية الاعتبارية ، حتى يُضمن استمرار العمل التطوعي على شكل مؤسسات تقدم هذه العمال ويندرج تحتها الأفراد أجيالاً متعاقبة ، كلٌ يساهم بقدر طاقته ، ذلك لو أنها ارتبطت بأشخاصٍ عاديين تنتهي بنهايتهم (الحربي،1418ه : 401).

آثاره على الفرد والمجتمع

يعكس الانخراط في الأعمال التطوعية آثاراً ايجابية كثيرة ، سواءً على الصعيد الشخصي(الفرد المتطوع) أو على الصعيد العام (المجتمع) ، ومن أهم آثاره :

- شعور الفرد بتحقيق مكسب ديني وهو الأجر والثواب ، ومن ثم شعوره بالراحة النفسية عند قيامه بأي عمل تطوعي.
- اكتساب معارف وخبرات عديدة في الحياة.
- اكتساب قدرات وملكات نفسية نتيجة احتكاكه بشرائح مختلفة في المجتمع تساعده على تحسين سلوكه والقدرة على التعامل مع الآخرين.
- زيادة إحساس الفرد بذاته وأهميته في المجتمع.
- إشغال أوقات الفراغ لا سيّما عند الشباب.

أما أهم آثاره على المجتمع، فهي :

- توفير طاقات بشرية متنوعة ومتخصصة لتنمية المجتمع وتأهيله.
- توفير الكثير من الأموال لصرفها في مشاريع تنموية تخدم المجتمع.
- تحقيق روح المحبة والتكافل بين أفراد المجتمع.
- تنمية روح التنافس بين الجماعات التطوعية بما يعكس جودة الخدمات.
- يساعد في القضاء،أو التقليل من البطالة وآثارها السلبية على الفرد والمجتمع.

إنّ من أم الآثار التي يفرزها العمل التطوعي في المجتمع ، هو دوره الكبير في تنمية أفراده؛ فالعلاقة وثيقة بين التنمية ومدى نجاحها في المجتمع ، وبين العمل التطوعي، وبذلك يرتقي المجتمع في الميادين كافة ؛ ذلك " أن التنمية تقوم على الجهد البشري ، وهو ما يستلزم ، فضلاً عن الخطط الواضحة والمحددة، وجود الإنسان الواعي القادر على المشاركة في عمليات التنمية"(أحمد مخيمر، العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة).
وتبرز هذه الأهمية في المجتمع بمحورين مهمين، هما:

- الاستفادة من الموارد البشرية ، حيث يمثل العمل التطوعي دوراً إيجابياً في إتاحة الفرصة لأفراد المجتمع كافة، للمساهمة في عمليات البناء الاجتماعي والاقتصادي اللازمة في كل مكان وزمان .
- الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، حيث يساهم العمل التطوعي في تخفيض تكاليف الإنتاج ، وكذلك تحقيق الزيادة فيه .

والعمل الخيري بشكل عام يجمع الطاقات الكامنة وغير المستَغَلة، ويسخرها لتنمية المجتمع، عن طريق المؤسسات والمنظمات والهيئات الخيرية ؛ لذا حرصت الدول المتقدمة على ترسيخ مفهوم العمل التطوعي، والحث عليه بين شرائح المجتمع المختلفة، وخلق المناخ الملائم لتشجيع الأفراد للعطاء والإبداع، وتخصيص ‘دارة عامة متخصصة لتحديد المجالات التي يمكن بواسطتها تشجيع التطوع، وخلق الحوافز المادية والمعنوية، لرفع نسبة المتطوعين في شتى المجالات ، وبذلك يرتبط مفهوم العمل الخيري والتطوعي بالتنمية الشاملة ، عن طريق مجموع الأعمال والبرامج التي تستهدف رُقيّ الإنسان، ابتداءً من الفرد، ثم الأسرة، ثم المجتمع بأكمله.

التوصيات

- توجيه الأسرة بتنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية سليمة، بغرس قيم التضحية والإيثار، وروح العمل الجماعي في نفوس الناشئة منذ مرحلة الطفولة .
- احتواء البرامج الدراسية والمناهج للمؤسسات التعليمية المختلفة بعض المقررات الدراسية التي ترتكز على مفاهيم العمل الجماعي التطوعي ، وأهميته، واقتران ذلك بالبرامج التطبيقية مثل حملات التنظيف ، وخدمة البيئة وما إلى ذلك.
- دعم المؤسسات أو الهيئات التي تعمل في مجال العمل التطوعي ماديا ومعنوياً .
- تنظيم دورات تدريبية للمتطوعين أو الراغبين بالتطوع قبل تكليفهم بالمهام التطوعية مما يكسبهم المهارات والخبرات المناسبة .
- مطالبة وسائل الإعلام المختلفة بدور أكثر تأثيراً في تعريف ماهية العمل التطوعي ومدى حاجة المجتمع إلى ذلك لما له من دور في التنمية ، وإكساب العاملين على ذلك الاحترام الذاتي واحترام الآخرين.
- جعل العمل التطوعي وسيلة لمعالجة الانحراف السلوكي لبعض العاطلين عن العمل.
- توجيه وزارة التربية والتعليم على توظيف التكنلوجيا الحديثة بهذا المجال في التنسيق بين الجهات الحكومية وغير الحكومية ؛ لتقديم الخدمات الاجتماعية واستغلال الطاقات البشرية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
المراجع
- ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط1، 1426هـ- 2005م.
- الهنائي، علي بن الحسن، المنجد في اللغة، تح: أحمد مختار، عالم الكتب، ط(2)، 1988.

المصادر
- أندرودي وسيزرلاقي، السلوك التنظيمي والأداء، مطبوعات معهد الإدارة العامة، 1412هـ.
- الجهني، مانع حماد ، دور المؤسسات في الخدمات التطوعية ، مكة المكرمة، 1418.
- الحربي، حامد سالم ، ضوابط الخدمة التطوعية(رؤية تربوية إسلامية جامعة) ، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، 1418.
- راشد، محمد، المشاركة في العمل التطوعي في الإمارات، 1992.
- العلي، سليمان بن علي، تنمية الموارد البشرية في المنظمات الخيرية، 1416، واشنطن.
- اللحياني، مساعد مشاط، التطوع في الدفاع المدني والحماية المدنية، الرياض، مطابع الجمعية، 1994.
- نايلور، هارنين نايلور، قيادة العمل التطوعي، نيويورك، 1976.
- النجار، باقر، الجمعيات الأهلية في منطقة الخليج العربي، 1989.
- النعيم، عبد الله ، العمل الاجتماعي التطوعي، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1419هـ.
- ولسون، الإدارة الفعّالة لبرامج التطوع، 1976.
الصحف والمجلات
مجلة الشؤون العربية ، التنظيمات غير الحكومية، علي الصاوي ، 1993.
مجلة بقية الله،) ، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية ، سلوى صعب ، ع(144) .
هافيغنتون بوست عربي بغداد تنفض غبار الحرب(متطوعون عراقيون يعيدون افتتاح المراكز الثقافية)، عادل فاخر، بغداد، 2016/3/17.
الانترنت
مخيمر، أحمد ، العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة، شبكة الألوكة، 2012/6/21.